



خطبة صلاة الجمعة 11/2/2021 للشيخ الطبيب محمد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(احترام الناس عند النبي صلى الله عليه وسلم وكيف نتحلى به)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنْ أَحْسَنِكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» وفي رواية البزار (مكارم الأخلاق).

هذه الخطبة التاسعة عشرة في سلسلة من الخطب تناسب الزمان والاحتياج عنوانها: (أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف نتحلى بها).

وعنوان خطبة اليوم:

احترام الناس عند النبي صلى الله عليه وسلم وكيف نتحلى به

أيها الإخوة:

سبق أن الخلق هو اسم لصورة الإنسان الباطنة، كما أن الخلق اسم لصورته الظاهرة. (لسان العرب).

والأخلاق تكون فطرية وتكون مكتسبة. فمن فطره الله على خلق حسن فليحمد الله ومن لم يجده في نفسه فليتدرب على اكتسابه. وهذا الواجب العملي الأهم على مستمع هذه السلسلة.

أيها الإخوة:

الاحترام في معاجم اللغة المعاصرة هو: التكريم والإكبار ورعاية الحُرمة، واحترام الناس هو إنزالهم منازلهم، ومراعاة خصوصياتهم، وحفظ مكاناتهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، إكرام كريمهم. وإذا كان حديث اليوم عن احترام الناس عند النبي صلى الله عليه وسلم وكيف نتحلى به، فإليك هذه المواقف من السنة المطهرة.

1- تروي كتب السير أن قريشاً جاءت إلى حصين والد عمران وكانت تعظمه وتجله، فقالوا له: كلم لنا هذا الرجل، فإنه يذكر آهتنا ويسبها، فجأؤوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبي صلى الله عليه وسلم ودخل حصين، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أوسعوا للشيخ، وعمران ولده في الصحابة، فقال حصين: ما هذا الذي بلغنا عنك أنك تشتم آهتنا وتذكرها؟ فقال: يا حصين كم تعبد من إله؟ قال سبعة في الأرض وواحد في السماء، فقال: فإذا أصابك الضر لمن تدعو؟ قال الذي في السماء، قال: فإذا هلك المال من تدعو؟ قال الذي في السماء، قال: فيستجيب لك وحده وتشرك معه، أراضيته في الشرك؟ يا حصين أسلم تسلم فأسلم، فقام إليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه، فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: شيعوه إلى منزله، فلما خرج من سدة الباب: أي عتبه رأته قريش، قالوا: قد صبا وتفرقوا عنه».

إنها صورة من صور احترام النبي صلى الله عليه وسلم للكبير ولو كان مخالفاً في الاعتقاد.

2- وأخرج الطبراني عن جرير بن عبد الله وكان سيد قومه: أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت مدحوس - مملوء - من الناس، فقام في الباب، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم يميناً وشمالاً، فلم ير موضعاً، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم رداءه فلفه، ثم رمى به إليه، فقال: «يا جرير اجلس عليه»، فأخذه جرير فضمه وقبله ثم رده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "أكرمك الله، يا رسول الله كما أكرمتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه».

إنها صورة من صور احترام النبي صلى الله عليه وسلم لصاحب المكانة والمنزلة.

3- أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت أحداً أشبه سَمْتاً ودَلاً وهدياً برسول

الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام إليها، فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل عليها قامت من مجلسها، فقبلته وأجلسته في مجلسها».

فهذه صورة من صور احترام النبي صلى الله عليه وسلم لابنته إذ يقوم لها ويجلسها في مجلسه، بل روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يحترم القريب والبعيد من الصغير والكبير.

فقد أخرج الإمام البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدرح، فشرب، وعن يمينه غلام هو أحدث القوم، والأشياخ عن يساره، قال: «يا غلام أتأذن لي أن أعطي الأشياخ»، فقال: ما كنت لأؤثر بنصيبي منك أحداً يا رسول الله، فأعطاه إياه.

فالحاصل أن احترام الناس كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم وإنثاهم، قريبهم وبعيدهم، الموافق منهم والمخالف خُلِقَ النبي صلى الله عليه وسلم، وهو معروف بها، والمتوقع أن يكون احترام الناس خلقك، وأن تكون معروفاً بذلك.

زارني أحد الأساتذة الفضلاء وهو صاحب منزلة عالية وعلم وفير وجاء عريض في العيادة بصحبة أمه العجوز يريد معالجة أسنانها فكنيت إذا سألته عن اختياره لنوع معالجة معينة يقول لي: سل الأميرة، القرار عند الأميرة، والقول قول الأميرة، يقصد بذلك أمه، فكان لا يشير إليها إلا بقوله: الأميرة، احتراماً وبراً وتكريماً.

احترام الناس دليل على احترام النفس، ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا. عندما تمرّون بسوق البزورية ومثله كثير من أسواق دمشق القديمة تجدون على أبواب عددٍ من المحلات رجالاً ذوي قدر وسن، في لباس أنيق، جلوساً يستقبلون الزبائن، هم تجار هذه السوق، يمر بهم الشاب الذي هو في عمر أبنائهم أو أحفادهم قاموا له وأحسنوا استقباله وسألوه عن والده وجده وأراحاه وحملوه سلاماتهم لهم، وأوصوا عمال المحل به خيراً، فينصرف الزبون حاملاً ما اختار من البضاعة وما أدهشه من أدب هؤلاء الكبار واحترامهم.

احترام الناس دليل على احترام النفس، ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا. بينما كان يقود سيارته وجد شابةً تمسك بيد امرأة طاعنة وتحاولان عبور الطريق فتترددان، فأوقف سيارته وأشار لهما بالمرور فسرتا وشكرتا له.

احترام الناس دليل على احترام النفس، ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا.
راجعت إحدى السيدات العيادات الخارجية لإحدى المشافي بشكوى هضمية شديدة، وبعد
المعاينة قرر الطبيب استقبالها في غرف المشفى لمتابعة الحالة، وبينما كانت الممرضة تصحبها إلى غرفتها
غلب القيء المريضة فسقط على أرض المشفى وأصاب رشاشه ثيابها وثياب الممرضة، فأصابها من ذلك
الحرج الشديد مضافاً لألمها الموجع، فما كان من الممرضة تقديرًا لسنها ومرضاها إلا أن طمأنتها بأن
الأمر يسير وبأنه سيصار إلى تنظيف المكان وتطهيره مباشرة، وأنها كانت ذاهبةً لتغيير ثوب تمريرها
بعد قليل فلن يتغير عليها شيء الآن.

احترام الناس دليل على احترام النفس، ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا.
في شارع ضيق ذي اتجاه واحد، قد اصطف عن يمينه ويساره رتلان من السيارات، مر أحمد
بسيارته فواجهه تجاهه سيارة يظهر أن سائقها أخطأ فمر مخالفاً، فهو يعود القهقري للوراء.
فلما رأى سائق السيارة المخالفة سيارة أحمد أمامه ورأى ضيقاً في الشارع وسيارات مصطفة عن
يمينه وشماله اضطرب في قيادته. ولم يعد يحسن الرجوع.

فما كان من أحمد إلا أن أشار له بيده أن تمهل ولا حرج عليك وأنني سأنتظرك حتى ترجع سالماً.
احترام الناس دليل على احترام النفس، ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا.

أيها الإخوة:

في احترام الناس نجاح وفي توقيهم فلاح وفي إكرامهم رباح.

الجماعة تقوى بالاحترام الدائر بين أفرادها.

والأسرة تقوى بالاحترام المتبادل بين أبنائها.

والفرد يقوى باحترامه لنفسه واحترامه الآخرين.

وهذه ثلاثة تعين المرء على التخلق باحترام الناس:

فأولها: المطالعة في كتب الأخلاق والآداب.

وثانيها: صحبة أهل الفضل والعلم والاحترام.

وثالثها: اجتناب ما يورث المهانة والمذلة من فحش أو معصية أو ناقصة في قول أو فعل.

أيها الإخوة:

أكثرُوا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه من صلى عليه صلى الله عليه
ومن سلم عليه سلم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، وسنته
وسيرته، ليكون النبي حاضراً فينا وتكون سنته ماثلة بيننا.

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾.

والحمد لله رب العالمين